مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مَجَلَّةٌ - إِسْلَامِيَّةٌ - ثَقَافِيَّةٌ - جَامِعَةٌ - مُحْكَمَةٌ

تَصْدُرُ سَنَوِيًّا عَنْ

كُلِّيَّةُ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

العددان التاسع والعشرون والثلاثون

لسنة 1436 - 1437 الهجرية الموافق: 2015 - 2016 الميلادية

أ.د. مصطفى محمد الباجقني رحمه الله
طرابلس - ليبيا

تمهيد:

الحمد لله الذي أَنْزل على عَبْده الكتاب ولم يجعل له عِوَجاً، والصلاة والسلام على أشرف خلقه، سَيِّد الحُفّاظ، وإمام الهُداة، الداعي إلى مكارم الأخلاق، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدِّين وبعد.

فإن القُرآن الكريم كلام الله جعله خاتم كتبه المُنزلة، وتكفّل بحفظه، وجعل من خصائصه التعبّد بِتلاوته، لذلك أقبلت الأجيال جيلاً بعد جيل على تلاوته ومُدارسته، وحفظه في الصدور، كما هو محفوظ في السطور، وهي خاصّةٌ لم يحظَ بها كتاب إلهي أو وضعي على وجه الأرض.

وهذا البحث يتناول وجهاً من وجوه إعجازه البياني، وهو المتشابه اللفظي في الرسم، أو الزيادة والحذف، أو التقديم و التأخير، أو الإفراد والجمع، أو التعريف والتنكير، إلى غير ذلك من الوجوه، مع ذكر الحكمة أو السرّ من ذلك، مع الإشارة أحياناً إلى معاني بعض المُفردات أو التراكيب القرآنية التي تحتاج إلى بيان.

وهو يهدف إلى الأَخذ بيد الحُفّاظ لكتاب الله، كي يجنِّبهم الوقوع في الأخطاء عند تِلاوتهم بسبب اللّبس الذي يُحدثه هذا التشابه.

وسلكَت منهجاً يعتمد هاتين السورتين، ثم النظر في الآية أو الآيات التي تتشابه معهما في السورتين أو غيرهما، ثم إثبات الآية أو الآيات، ووضع أرقام الآيات في نهاية كلٍّ منها. ومن الله التوفيق والسداد.

أولاً: سورة آل عمران

الآية الأُولى:

قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ الآية: (11).

وقال في سورة الأنفال: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ الآية: (52).

وقال في هذه السورة أيضاً: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ﴾ الآية: (54).

وَرَدت المخالفة بين ﴿كَذَّبُوا۟﴾ في آية آل عمران والآية الثانية من الأنفال، و﴿كَفَرُوا۟﴾ في الآية الأُولى من الأنفال.

لأن قوم فرعون ومن سبقهم من الأُمم شاركوا المُشركين في الكفر بالله وإنكار دلائل وحدانيته -تعالى- وتكذيب رُسُله الكِرام.

فابتدأ بالأفظع من الأمرين وهو الكفر؛ لأنه أصرح في إنكار صفات الله تعالى، ثم ثنّى في الموضعين بذكر تكذيبهم للآيات الدالّة على صدقه ﷺ.

جاء لفظ الآيات مُضافاً إلى اسم الجلالة في الآية الأُولى من الأنفال ﴿بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾، ومضافاً إلى الضمير ﴿بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ في آية آل عمران، وإلى لفظ الرب ﴿رَبِّهِمْ﴾ في الآية الثانية من الأنفال.

لأنّ الإظهار في مقام الإضمار اقتضاه أنّ الكفر كفر بما يرجع إلى صفات الله، فأُضيفت الآيات إلى اسم الجلالة ليدلّ على ذاته ووحدانيته.

وأما الإضمار في آية آل عمران؛ فلأن التكذيب متوجِّه نحو الآيات الدالّة على ثبوت رسالته ﷺ، فجاءت إضافة الضمير على الأصل في التكلّم[1].

وأما الإضمار إلى لفظ ﴿رَبِّهِمْ﴾ في الآية الثانية من سورة الأنفال لزيادة تفظيع تكذيبهم؛ لأن الاجتراء على الله مع كونه رباً للمُجترئ يزيد جراءته قبحاً وتشنيعاً؛ لأن الرب يستحق الشكر.

اتفقت آية سورة آل عمران، والآية الأُولى من سورة الأنفال في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ ومجيء قوله تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ في الآية الثانية من سورة الأنفال، التعبير بالإهلاك ثم بالأخذ؛ ليفسَّر الأخذ بأنه آل إلى الإهلاك، وهو الغَرق لفرعون وقومه.

مجيء حرف التوكيد (إنّ) مع لفظ (قويّ) في الآية الأُولى من سورة الأنفال، وحذفهما من آية سورة آل عمران؛ لأنه قَصَدَ هنا التعريض بالمُشركين، وكانوا يُنكرون قُوة الله عليهم بمعنى لازمها، وهو إنزال الضُّر بهم، ويُنكرون شِدَّة عُقوبته لهم، فأكَّد الخبر باعتبار لازمه التعريضي الذي هو إبلاغ هذا الإنذار إلى المشركين المعاصرين، وزيد وصف (قويّ) مبالغة في تهديد المشركين. وفي آية سورة آل عمران لم يقصد إلا الإخبار عن كونه -تعالى- شديد العقاب إذا عاقب فهو تذكير للمسلمين[2].

الآية الثانية:

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ الآية: (40).

وقال في سورة مريم: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ الآية: (8).

(1) انظر: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج10، ص34.
(2) انظر: المصدر السابق، ج10، ص46.

قُدّم (الكِبَر) في آية سورة آل عمران، وأُخِّرَ ذكرُ المرأة، وفي آية سورة مريم حصل العكس.

لأنه في سورة مريم تقدّم ذكرُ ﴿ٱلۡكِبَرُ﴾ وتأخرَ ذكرُ (المرأة) في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ من الآية: (4)، وقوله: ﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا﴾ الآية: (5) ثم أعاد ذكرهما فأخّر الكِبَر ليوافق (عتيا) فواصل ما قبلها وما بعدها من الآيات[1].

الآية الثالثة:

قوله تعالى: ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ الآية: (27).

وقال في سورة الأنعام: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ﴾ من الآية: (95).

وقال في سورة يونس: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ...﴾ من الآية: (31).

وقال في سورة الروم: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾ الآية: (19).

وَرَدَ في آية الأنعام لفظ ﴿وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ﴾ وهو اسم فاعل، وبقية الآيات وَرَدَ بصيغة الفعل المضارع ﴿يُخۡرِجُ﴾.

لأن آية الأنعام اكتنفها أسماء فاعلين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ﴾، وقوله في الآية التي بعدها: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا﴾ من الآية: (96)، فَجِيء باسم الفاعل (مخرج) ليُناسب ذلك، ولم يقع هذا في الآيات الأُخرى؛ لأن الجمل قبلها فعلية، فعطف عليه بمثلها[2].

---

(1) انظر: **البرهان في متشابه القرآن**، ص144.

(2) انظر: أحمد بن الزبير، **ملاك التأويل**، ج1، ص295؛ وبدر الدين بن جماعة، **كشف المعاني من المتشابه في المثاني**، ص163.

الآية الرابعة:

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ﴾ الآية: (41).

وقال في سورة مريم: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا﴾ الآية: (10).

وَرَدَ لفظ (ثلاثة أيام) في آية آل عمران، ولفظ (ثلاث ليال) في آية مريم جعلت مدة انتفاء تكليمه الناس في آية آل عمران ثلاثة أيام، وفي آية مريم ثلاث ليال، فعُلم أن المُراد هُنا لَيالٍ بأيامها، وأن المُراد في آية آل عمران أيام بلياليها، مع مُراعاة حُسن الجِوار في النظم في الموضعين[1].

الآية الخامسة:

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ﴾ من الآية: (44).

وقال في سورة يوسف: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ﴾ الآية: (102).

جاء في آية آل عمران قوله: ﴿يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ﴾ وفي آية يوسف قوله: ﴿أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ﴾.

في آية آل عمران إشارة إلى رمي وطرح بالأقلام التي يكتبون بها التوراة، للاقتراع على من يكفل مريم. وفي آية يوسف إشارة إلى إخوة يوسف وقد تآمروا على أخيهم يوسف بوضعه في الجُبّ.

المَكْر: صرف الغير عما يقصده بحيلة؛ وهو ضَربان: محمود، وذلك أن يتحرّى بذلك فعل جميل نحو قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ من الآية: (53)،

(1) انظر: **تفسير التحرير والتنوير**، ج16، ص73.

سورة آل عمران، ومذموم، وهو أن يتحرّى به فعل قبيح[1].

الآية السادسة:

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ من الآية: (47).

وقال في سورة مريم: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ الآية: (20).

جاء لفظ (ولد) في آية آل عمران، ولفظ (غلام) في آية مريم؛ لأنه تقدّم في سورة آل عمران ذكرُ المسيح عليه السلام وهو ولدها في قوله: ﴿يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ من الآية: (45)، وتقدّم في سورة مريم ذكر الغُلام في قوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ الآية: (19). فناسب كلٌّ لفظ مكانه[2].

الآية السابعة:

قوله تعالى الآيتان: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ الآيتان: (48-49).

وقال في سورة المائدة: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾ من الآية: (110).

جاء الضمير في آية آل عمران مُذكَّراً (فيه) وفي آية المائدة مُؤنثاً (فيها) لأن الضمير في آية أل عمران يعود إلى الطير، وفي آية المائدة يعود إلى الهيئة.

(1) الرّاغب الأصفهاني، **مفردات غريب القرآن**، ص471.
(2) انظر: **البرهان في متشابه القرآن**، ص145.

وَرَدَ لفظ (بإذن الله) مرتين في آية آل عمران، ولفظ (بإذني) أربع مرات في آية المائدة؛ لأن ما في آية آل عمران من كلام عيسى عليه السلام، فما كان من فعل الشر أضافه إلى نفسه؛ وهو الخلق الذي بمعنى التقدير والنفخ، وهو إخراج الهواء من الفم، وما لم يكن أضافه إلى الله.

وما في آية المائدة من كلام الله تعالى، فأضاف جميعه إلى بديع صنعه، إظهاراً لعجز البشر[1].

الكَمَهُ: العمى يولد به الإنسان. البَرَص: بياض يظهر في ظاهر البدن[2].

الآية الثامنة:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ الآية: (51).

وقال في سورة مريم: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ الآية: (36).

وقال في سورة الزخرف: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ الآية: (64).

وَرَدَ في آية الزخرف الضمير (هو) في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى﴾، وحُذف من آيتي آل عمران ومريم.

وهو يُفيد التأكيد؛ لأنه جاء في ابتداء كلام، فحَسُن التأكيد، ليصير المبتدأ مقصوراً على الخبر. وأما في الآيتين الأُخريين، فوقع بعد العديد من الآيات الدالّة على توحيد الله -تعالى- فلم تحتج إلى تأكيد[3].

(1) انظر: **البرهان في متشابه القرآن**، ص145 وما بعدها؛ **وتفسير التحرير والتنوير**، ج7، ص101-102.

(2) **مختار القاموس**، ص47، 537.

(3) انظر: **البرهان في متشابه القرآن**، ص148.

الآية التاسعة:

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ الآية: (52).

وقال في سورة المائدة: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ الآية: (111).

جاء في آية آل عمران (إنّا) وفي آية المائدة (إنّنا)؛ لأن ما في آية المائدة أول كلام الحواريين، وفي سياق تعدّد نِعَمه عليهم أولاً، فجاء مُؤكداً على الأصل. وأما في آية آل عمران تكرار لكلامهم فجاء فيه التخفيف[1].

الآية العاشرة:

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ الآية: (99).

وقال في سورة الأعراف: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ من الآية: (86).

بزيادة (به) وحذفها من آية آل عمران.

حذف الضمير المجرور (به) من آية آل عمران؛ لأنها نداء موجَّه إلى أهل الكتاب يُشعر بالتوبيخ بأنهم يُحاولون إرجاع المُؤمنين إلى الكفر بزرع الشَّك فيهم فلم يحتج إلى (به)[2].

أما في آية الأعراف فذكر لفظ (به) لأنه يعود على نبي الله شعيب عليه السلام فقد كان قومه يصدّون وفود الناس عن الدخول إلى المدينة التي كان بها شعيب لئلا يؤمنوا به، فَنَهاهم عن ذلك[3].

(1) انظر: **البرهان في متشابه القرآن**، ص149.
(2) انظر: **تفسير التحرير والتنوير**، ج4، ص26.
(3) انظر: المصدر السابق، ج8، ص246.

أما إثبات حرف العطف (الواو) في آية الأعراف، وحذفه من آية آل عمران؛ فلأن جملة ﴿تَصُدُّونَ﴾ في آية آل عمران لا محلّ لها، جواب النداء[1] وليس صحيحاً ما جاء في (كشف المعاني) بأنها حال[2]، وأما جملة ﴿تَبْغُونَهَا﴾ ففي محل نصب حال.

أما الجملتان الواقعتان في آية الأعراف منه، فمعطوفتان على ما قبلهما فجيء بالواو.

الآية الحادية عشرة:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ الآية: (100).

وقال في هذه السورة أيضاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ الآية: (149).

وَرَدَ في الآية الأُولى ﴿تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وفي الآية الثانية ﴿تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ لأن في الآية الأُولى إشارة إلى كَيْد فريق من اليهود لإثارة الفتنة من جديد بين الأوس والخزرج بعد إخمادها بمَقْدم النبي ﷺ.

أما في الآية الثانية فإشارة إلى أحداث غزوة أُحُد، وما أصاب المؤمنين من قرح الهزيمة، وما قاله المنافقون: ارجعوا إلى دين آبائكم. وهي دعوة إلى العودة إلى الشِّرك ومُوالاة المُشركين[3].

الآية الثانية عشرة:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ آية: (116).

(1) **الجدول في إعراب القُرآن وصرفه**، ج4، ص216-217.
(2) انظر: **كشف المعاني**، ص131-132.
(3) انظر: **تفسير القرطبي**، ج4، ص155-232.

وقال في سورة المجادلة: ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ الآية: (17).

بزيادة حرف العطف (الواو) في (أولئك) في آية آل عمران، وحذفه من آية المُجادلة.

قال ابن عاشور مُعلِّلاً مجيء الواو: «وجيء بحرف العطف على خلاف الغالب في أمثالها، لقصد أن تكون الجُملة منصبّاً عليها التأكيد بحرف (إن) فيكمُل لها من أَدِلَّة تحقيق مضمونها خمسة أدلّة: التأكيد بـ (إنّ)، وموقع اسم الإشارة، والإخبار عنهم بأنهم أصحاب النار، وضمير الفصل، ووصف خالدون»[1].

أما بدون الواو في آية المجادلة، فالجملة في موضع العِلَّة للجملة السابقة لها ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ﴾ أي لأنهم أصحاب النار[2].

الآية الثالثة عشرة:

قوله تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ﴾ من الآية: (120).

وقال في سورة التوبة: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ الآية: (50).

في آية آل عمران وَرَدَ لفظ ﴿تَمْسَسْكُمْ﴾ وهو خطاب للنبي ﷺ وللمؤمنين، وكذلك لفظ ﴿تُصِبْكُمْ﴾، والمسّ: الإصابة منها بمعنى وهو من التفنّن.

وفي آية التوبة جاء اللفظ بصيغة المُفرد ﴿تُصِبْكَ﴾ في الموضعين، وهو خطاب لرسول الله ﷺ.

جاء في آية آل عمران لفظ ﴿سَيِّئَةٌ﴾ وفي آية التوبة لفظ ﴿مُّصِيبَةٌ﴾،

(1) **تفسير التحرير والتنوير**، ج4، ص60.
(2) المصدر السابق، الجزء نفسه والصفحة.

السيئة والمصيبة هما بمعنى، والمُراد بهما الهزيمة، والآيتان تتحدثان عن المُنافقين، وما يصدر عنهم من عبارات التطيّر والشماتة إنْ نزلت برسول الله والمؤمنين هزيمة أو فقر أو اختلاف[1].

الآية الرابعة عشرة:

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ الآية: (126).

وقال في سورة الأنفال: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الآية: (10).

بإثبات لفظ ﴿لَكُمْ﴾ في آية آل عمران، وحذفه من آية الأنفال.

حذف هذا اللفظ ﴿لَكُمْ﴾ من آية الأنفال دفعاً للتكرار لسبق ﴿لَكُمْ﴾ في الآية السابقة من قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ الآية: (9). لعلم السامع أن البشرى لهم دون إعادة هذا اللفظ. ولأن آية آل عمران سيقت لأجل الامتنان والتذكير بنعمة النصر في غَزْوَة بدر في حين القلة والضعف، فناسب ذكر ﴿لَكُمْ﴾ للدلالة على تكرمة الله تعالى إياهم، أي جعل الله ذلك بشرى لأجلكم.

وآية الأنفال فيها معنى العتاب على كراهية الخروج إلى بدر في أول الأمر، فحذف منها ﴿لَكُمْ﴾ لأن البشرى للنبي ﷺ ولمن لم يترددوا من المسلمين.

تقديم الجار والمجرور ﴿بِهِۦ قُلُوبُكُمْ﴾ في آية الأنفال، للاختصاص، والمعنى: ولتطمئن به قلوبكم لا غيره. وفي هذا الاختصاص تعريض بما اعترى البعض من الوَجَل من الطائفة ذات الشَّوكة.

(1) انظر: **تفسير القرطبي**، ج4، ص183؛ **والتحرير والتنوير**، ج4، ص68، وج1، ص222.

وآية آل عمران خَلَت منه فرجع إلى الأصل، وهو إيلاء الفعل لفاعله وتأخير الجار والمجرور.

وَرَدَ في آية الأنفال قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ في آية آل عمران ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾. إن آية الأنفال نزلت في غَزوة بدر أولاً، وآية آل عمران نزلت في غزوة أُحُد ثانياً.

فبيّن أولاً أنّ النصر من عنده لا بغيره من كثرة عَدَد أو عُدَّة، وكذلك بعزته وقدرته وحكمته المُقتضية لنصر من يستحق نصره.

وأحال في الثانية على الأُولى بالتعريف؛ كأنه قيل: إنما النصر من عند الله العزيز الحكيم، الذي تقدّم إعلامكم أن النَّصر من عنده، فناسب التعريف بعد التنكير[1].

الآية الخامسة عشرة:

قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ الآية: (133).

وقال في سورة الحديد: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ﴾ من الآية: (21).

ذكر لفظ ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ في آية آل عمران، ولفظ ﴿سَابِقُوٓاْ﴾ في آية الحديد.

قُدّمت المُسارعة؛ لأن المسابقة مبنية على المُسارعة، فإن المُسارع إلى الشيء قد يحصل له ما يُسارع إليه، وقد لا يحصل، ولا يُقال سبق إلا إنْ تحقّق له مطلوبه، فالمُسارعة متقدِّمة في الرتبة.

ذكر لفظ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ في آية آل عمران، ولفظ ﴿ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ في آية الحديد.

(1) انظر: **كشف المعاني**، ص132-133؛ **والتحرير والتنوير**، ج9، ص276-277.

إن آية آل عمران على تقدير مُضاف محذوف، أي عَرْضها مثل عَرْض السماوات والأرض، وقد جاء في آية الحديد ما يقوم مَقام هذا المضاف وهو كاف التشبيه وإن عبّر في آية الحديد بالإفراد ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ فالمُراد الجمع، كذلك الشأن بالنسبة للفظ الأرض. يُقال: السماوات السبع والأَرضون، ولم يأت هذا الجمع في القرآن[1].

الآية السادسة عشرة:

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ الآية: (136).

وقال في سورة العنكبوت: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ الآية: (58)...

زيادة حرف العطف (الواو) في (ونعم) في آية آل عمران، وحذفه من آية العنكبوت.

وقع في آية آل عمران ذكر الجزاء مُفصّلاً معطوفاً: ﴿جَزَآؤُهُمْ...﴾ ناسبه عطف جملة الممدوح بها الجزاء فقيل: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾.

وأما في آية العنكبوت فلم يرد الجزاء مُفصّلاً، ولا وقع فيه عطف، فجاءت جملة المدح غير معطوفة لتناسب النظم[2].

الآية السابعة عشرة:

قوله تعالى: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ من الآية: (167).

وقال في سورة الفتح: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ﴾ من الآية: (11).

(1) انظر: **ملاك التأويل**، ج1، ص316 وما بعدها.
(2) انظر: المصدر السابق.

وَرَدَ في آية آل عمران لفظ ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ وفي سورة الفتح لفظ ﴿بِأَلْسِنَتِهِم﴾؛ لأن الآية الأُولى تحدثت عن المُنافقين الذين استحكم فيهم النفاق، حتى أصبح سَجيّة لهم كعبد الله بن أُبَي وأمثاله، الذين ذكروا أموراً في غزوة أُحُد تُنبئ عن نفاقهم فكان لفظ الأفواه مناسباً لذلك الاستخدام.

وأما الآية الثانية فأخبرت عن بعض الأعراب الذين لم يتمكّن الإيمان في قلوبهم، ولم ينافقوا؛ فكان التعبير بالألسنة مناسباً لحالهم، وأنه على خِلاف حال المنافقين[1].

الآية الثامنة عشرة:

قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ الآية: (184).

وقال في سورة فاطر: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ الآية: (4).

وقال في هذه سورة أيضاً: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ الآية: (25).

وَرَدَ في آية آل عمران لفظ ﴿كُذِّبَ﴾ وفي الآية الأُولى من فاطر لفظ ﴿كُذِّبَتْ﴾ وفي الموضعين جاء لفظ ﴿رُسُلٌ﴾ نائب فاعل وهو جمع تكسير، يجوز فيه الوجهان التنكير والتأنيث.

جاء في آية آل عمران حرف الجر (الباء) مرة واحدة، وفي آية فاطر الثانية جاء مكرّراً ثلاث مرات، لأن سورة فاطر مكّية، وكان تكذيب المُشركين أشد، فاحتاجوا إلى التأكيد على ما جاء به الرُّسل. وأما سورة آل عمران فمدنية، وقد تمّ النصر للمؤمنين في غزوة بدر، ثم أصابهم قرح الهزيمة في غزوة أُحُد، فجاء الإخبار عما جاءت به الرُّسل بدون تأكيد[2].

(1) انظر: المصدر السابق، ج1، ص324.

(2) انظر: **البرهان في متشابه القرآن**، هـ1، س5، ص125.

الآية التاسعة عشرة:

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ من الآية: (186).

وقال في سورة لقمان: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ الآية: (17). وقال في سورة الشورى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ الآية: (43).

زيدت (اللام) في خبر إن ﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ في آية الشورى، وحُذفت من آيتي آل عمران ولُقمان.

الآيات الثلاث اختتمت بالتأكيد بحرف (إن) غير أن آية الشورى زِيدت تأكيداً آخر وهو حرف الابتداء (اللام) لأنها وَرَدَت في سِياق الصبر على الظلم، وكفّ النفس عن الانتقام مع القُدرة عليه، وهذا ما لا يَقدر عليه إلا أُولُو العزم.

أما آيتا آل عمران ولُقمان، ففي سِياق الصبر العام كالصبر على الطاعة أو المرض أو ما يقوله أعداء الإسلام من الطعن في الدِّين، والافتراء على رسوله ﷺ.. الخ[1]. فلذا لم يَحْتَج إلى التأكيد باللام.

الآية العشرون:

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الآية: (189).

وقال في آخر سورة المائدة: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الآية: (120).

(1) انظر: تفسير روح المعاني للألوسي، ج4، ص147.

زِيد حرف العطف (الواو) في ﴿وَلِلَّهِ﴾ في آية آل عمران وحُذف من آية المائدة لأن آية آل عمران معطُوفة على ما قبلها فناسب مجيء الواو. وآية المائدة جملة استئنافية لا تحتاج إليه.

وَرَدَ لفظ ﴿وَمَا فِيهِنَّ﴾ في آية المائدة، وحُذف من آية آل عمران حيث غلّب جانب العُقلاء على غير العُقلاء، ليدخل تحت طائلة قدرته -تعالى- عيسى وأمه مريم عليهما السلام اللّذان عُبِدَا من دون الله، وكذلك الأوثان والأصنام. وفيه إشارة إلى أن الجميع مُسخَّرون في قبضته وقُدرته، وأنهم مُتساوون في استحالة الرُّبوبية، وإلى الحطّ من قَدَرِ تلك الآلهة التي تعبد من دونه تعالى[1].

جاء التعبير بالاسم الظاهر ﴿وَٱللَّهُ﴾ في آية آل عمران، وبالضمير ﴿وَهُوَ﴾ في آية المائدة.

والإظهار في آية آل عمران في مقام الإضمار لتربية المهابة من سلطانه وجبروته -تعالى- مع الإشعار بمناط الحكم.

ومجيء الضمير في آية المائدة مُراعاة للأصل[2]، وهو تقديم الإضمار بعد الإظهار.

ثانياً: سورة النساء

الآية الأُولى:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ من الآية: (1).

وقال في سورة الأعراف: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ من الآية: (189).

(1) انظر: **التفسير الكبير للفخر الرازي**، م6، ج12، ص147؛ **وروح المعاني**، ج7، ص73.
(2) انظر: **روح المعاني**، ج4، ص152، وج7، ص73.

وقال في سورة الزمر: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ من الآية: (6).

في آية النساء وَرَدَ لفظ ﴿خَلَقَ﴾، وفي آيتي الأعراف والزمر وَرَدَ لفظ ﴿جَعَلَ﴾.

جاء الفعل ﴿جَعَلَ﴾ معطوفاً بحرف العطف الواو في آية الأعراف، وبحرف العطف (ثم) في آية الزمر.

التعبير بالفعل ﴿خَلَقَ﴾ في آية النساء إشارة إلى أن حواء خُلقت من آدم. أما في آيتي الأعراف والزمر فجاء التعبير بالفعل ﴿جَعَلَ﴾ لأن المقصود جعل الأُنثى زوجاً للذكر، لا الإخبار عن كون الله خَلَقَها؛ لأن ذلك قد عُلم من قوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾.

وفي آية الزمر جعل العطف بحرف (ثم) الدال على التراخي؛ لأنها سِيقت للاستدلال على وَحدانية الله وإبطال الشرك.

وأما آية الأعراف فسِيقت للامتنان على الناس بنعمة الإيجاد، فَذُكِر الأصلان للناس معطوفاً أحدهما على الآخر بحرف التشريك في الحكم، وهو حرف (الواو)[1].

الآية الثانية:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ الآية: (22).

وقال في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ الآية: (32).

زِيد لفظ ﴿مَقْتًا﴾ في آية النساء، وحُذف من آية الإسراء.

(1) انظر: **تفسير التحرير والتنوير**، ج9، ص210-211، ج23، ص331.

وسرّ هذه الزيادة أن مُتزوج امرأة أبيه فعل رذيلة يُمقت فاعلها ويُشنأ، وتمجّها الطِّباع السليمة وتستحقرها، فوُصفت فعلته بالمَقْت، وساوت الزنى فيما وراء ذلك[1].

مقته: أبغضه، فهو مَقيت وممقوت، و (المَقْتُ) كان في الجاهلية أن يتزوج الرجل امرأة أبيه[2].

الآية الثالثة:

قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ الآية: (41).

وقال في سورة النحل: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ من الآية: (89).

قدّم لفظ ﴿عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ وأخّر لفظ ﴿شَهِيدًا﴾ في آية النساء، وحصل العكس في آية النحل.

أخّر لفظ ﴿شَهِيدًا﴾ في آية النساء لأنها رأس آية، لمُراعاة فواصل الآية: ﴿عَظِيمًا﴾ ﴿شَهِيدًا﴾ ﴿حَدِيثًا﴾.

وأما آية النحل فلم تكن رأس آية، لتُراعي فواصل الآية: ﴿يُفْسِدُونَ﴾ ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿تَذَكَّرُونَ﴾.

الآية الرابعة:

قوله تعالى: ﴿فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ من الآية: (43).

(1) انظر: **ملاك التأويل**، ج1، ص340 وما بعدها.
(2) **مختار الصحاح للرازي**، ص629.

وقال في سورة المائدة: ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ﴾ من الآية: (6).

زيادة لفظ ﴿مِّنۡهُۚ﴾ في آية المائدة، وحذفه من آية النساء.

وهي لمزيد البيان، واختصَّت آية المائدة بذلك؛ لتأخرها في ترتيب التِّلاوة، ولمّا تقدّم فيها من تفصيل الوُضوء وواجباته، نَاسب ذكر واجبات التيمُّم بقوله ﴿مِنۡهُۚ﴾[1].

الآية الخامسة:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ الآية: (48).

وقال في هذه السورة أيضاً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ الآية: (116).

اختلف اختتام الآيتين؛ ففي الأولى ﴿فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾، وفي الآية الثانية ﴿فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾.

لأن الآية الأُولى سِيقت في شأن اليهود الذين افتروا على الله الكذب، وحرّفوا الكَلِم عن مواضعه، فناسب الاختتام بالافتراء والإثم العظيم.

وأما الآية الثانية فنزلت في مُنافقي العرب، وما صدر عنهم من مُحاولة ترويج الباطل على رسول الله ﷺ فكان ضَلَالهم بعيداً[2].

الآية السادسة:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا﴾ الآية: (61).

(1) انظر: **ملاك التأويل**، ج1، ص344؛ و**كشف المعاني**، ص138.

(2) انظر: **ملاك التأويل**، ج1، ص347 وما بعدها؛ و**البرهان**، ص156؛ و**درة التنزيل**، ص80.

وقال في سورة المائدة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ الآية: (104).

اختلف اختتام الآيتين، فآية النساء اختتمت بقوله: ﴿رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾، وآية المائدة اختتمت بقوله: ﴿قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾.

لأن آية النساء سِيقت بشأن المُنافقين الذين أبوا التحاكم إلى رسول الله ﷺ وأَعْرضوا عن ذلك، وفَضّلوا التحاكم إلى غيره من الطواغيت، فناسب اختتامها بالإعراض الشديد.

أما آية المائدة فتتحدَّث عن مُشركي العرب، وما ارتكبوه من حماقات الجاهلية من البَحِيرة والوصيلة والحامي، التي وجدوا آباءهم مُفضّلين ذلك عن التحاكم إلى ما أنزل الله على لسان نبيه ﷺ، فناسب نفي العلم والهداية عنهم.

وقد أخطأ صاحب ملاك التأويل وشاركه المحقّق حيث حذف من آية المائدة لفظ ﴿وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ وبنى على ذلك حكماً بقوله: «فدعوا الله ففيه الحكم الفصل»...[1].

البَحِيرة: إذا ولدت الناقة عشرة أبطن، شقوا أذنها، فيُسَيِّبونها فلا تُركب ولا يُحمل عليها.

الوصيلة: إذا ولدت الشاة ذكراً وأنثى قالوا: وصلت أخاها، فلا يذبحون أخاها من أجلها.

الحامي: هو الفحل إذا ضرب عشرة أبطن، كان يقال: حمى ظهره فلا يُركب[2].

(1) انظر: **ملاك التأويل**، ج1، ص349، وما بعدها.
(2) **المفردات في غريب القرآن**، ص133، 525، 37.

الآية السابعة:

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا﴾ الآية: (105).

وقال في سورة الزمر: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ الآية: (2).

وقال في هذه السورة أيضاً ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ﴾ الآية: (41).

وَرَدَ لفظ ﴿إِلَيۡكَ﴾ في آيتي النساء والزمر الأولى، ولفظ ﴿عَلَيۡكَ﴾ في آية الزمر الثانية زيادة لفظ ﴿لِلنَّاسِ﴾ في آية الزمر الثانية، وحذفه من الآيتين الأُخريين. المنزل على الأنبياء مُنتم إليهم، فذلك صحّت (إلى)، إلا أن (على) على أصلها إذا قُصد الإيضاح بالمعنى، بأن تُستعمل فيمن نزل الوحي عليه، وشركة الأُمة في اللفظ مجاز لا حقيقة[1].

وزيادة لفظ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ في الآية الثانية من الزمر لتُناسب ما بعدها. والمعنى: أنزلنا عليكم الكتاب لهداية الناس، فمن اهتدى فلنفسه، ومن انحرف وضلّ فإنما يضل عليها. ولم يُرَدْ هذا المعنى في الآيتين الأخريين، فحذف لفظ ﴿ٱلنَّاسِ﴾.

الآية الثامنة:

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ الآية: (115).

وقال في سورة الأنفال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ الآية: (13).

وقال في سورة الحشر: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ الآية: (4).

(1) انظر: **درة التنزيل**، ص36.

وَرَدَ في آية الحَشر لفظ ﴿يُشَآقِّ﴾ بإدغام المثلين، وفي آيتي النساء والأنفال بفكّ الإدغام.

وفي حالة إدغام المثلين ومجيء الفعل ساكناً يجوز الوَجْهان: الفكّ والإدغام، وحركة القاف في الأفعال الثلاثية عارضة لمناسبة التقاء الساكنين[1].

الآية التاسعة:

قوله تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ الآية: (128).

وقال بعدها مباشرة: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ الآية: (129).

جاء في الآية الأُولى لفظ ﴿وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾، وجاء في الآية الثانية لفظ ﴿تُصْلِحُواْ﴾ بدلاً من ﴿تُحْسِنُواْ﴾.

لأن الآية الأُولى فيما بين المرأة وزوجها، فإن خافت منه، وأرادت تألّفه وبقاءها في عِصْمته، فلها أن تتنازل له عن شيء من حُقوقها، وندب كلّاً منهما إلى الإحسان والتقوى، والزوج أخصّ بذلك.

أما الآية الثانية فدعوة إلى العدل بين الزَّوجات، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، وألّا يتركوها لا مُمسَكة ولا مُطلّقة، فلهذا وَرَدَ لفظ (الإصلاح) هنا؛ لأنه سبحانه خبير بأمور العباد الظاهرة منها والباطنة[2].

(1) انظر: **التبيان في إعراب القُرآن للعكبري**، ج1، تح: علي محمد البجاوي، دار الشام للتراث، بيروت - لبنان، ص390.

(2) انظر: **درة التنزيل**، ص81؛ و**ملاك التأويل**، ج1، ص354 وما بعدها.

الآية العاشرة:

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ من الآية: (131).

وقال في هذه السورة أيضاً: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ الآية: (132).

ما السر في اختلاف اختتام الآيتين؟

الآية الأُولى اختتمت بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾، والآية الثانية اختتمت بقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾.

لأن الآية الأُولى تتضمن معنى قوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ﴾[1] أي: أنتم مُحتاجون إلى طاعته، ولن تضره معصيتكم لأنه مالك السماوات والأرض، وعمّ بعطائه المُستحقَّ وغيرَهُ لعظيم جوده وغناه، أما الآية الثانية، فإنه لما كان المعنى أنه دائم القدرة، أخبر أن ما يحفظه مما في السماوات وما في الأرض من يكتفي به حافظاً؛ إذ مُلكه عليه دائم، وتدبيره عليه قائم[2].

الآية الحادية عشرة:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ من الآية: (135).

وقال في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ﴾ من الآية: (8).

قدّم لفظ ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ في آية النساء، وأخّر في آية المائدة.

لأن آية النساء وَرَدَت عقب آيات مبنية على الأمر بالعدل، كآيات القضاء

(1) سورة الزمر، من الآية: 7.
(2) انظر: **درة التنزيل**، ص83.

في الحقوق، وأحكام المُعاملة بين الرجال والنساء، فكان أمر العدل أهم؛ فلذلك قدّم لفظ (القِسط) وهو بمعنى العدل.

وأما آية المائدة فهي واردة بعد التذكير بميثاق الله، فكان المقام الأول للحضّ على القيام لله، أي الوفاء له بعهودهم له، فناسب قوله: ﴿قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ﴾ ثم أتبع بما بُني على ذلك من الشهادة بالقسط[1].

الآية الثانية عشرة:

قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ الآية: (149).

وقال في سورة الأحزاب: ﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ الآية: (54).

وَرَدَ في آية النساء لفظ ﴿خَيْرًا﴾ وفي آية الأحزاب لفظ ﴿شَيْـًٔا﴾.

خصّ لفظ الخير في آية النساء؛ لأنه مُقابل السوء الوارد في الآية التي قبلها في قوله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾[2].

والمعنى: لا يُحب الله أن يجهر بالقول السيء غير المظلوم، بأن يدعو على من ظلمه، أو يجزيَ بظلمه له...

أما في آية الأحزاب فلأن قبلها تحذيراً من إضمار ما لا يَحْسُنُ إظهارُه في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾[3] وقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾[4].

(1) انظر: **ملاك التأويل**، ج1، ص354 وما بعدها، و**التحرير والتنوير**، ج6، ص134-135.
(2) سورة النساء، من الآية: 148.
(3) سورة الأحزاب، من الآية: 51.
(4) سورة الأحزاب، من الآية: 53.

فاقتضى هذا المكان العُموم كأن قال: إن تُبدوا مما حذّرتكم شيئاً أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليماً[1].

الآية الثالثة عشرة:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ من الآية: (171).

وقال في سورة المائدة: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ من الآية: (77).

في آية النساء وَرَدَ لفظ ﴿إِلَّا﴾ وفي آية المائدة وَرَدَ لفظ ﴿غَيۡرَ﴾ مع إثبات جملة ﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وحذفها من آية المائدة.

مجيء لفظ ﴿وَلَا تَقُولُواْ...﴾ ناسب ﴿إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾؛ والمعنى: لا تذكروا أو لا تعتقدوا إلا القول الحق، ولما حذف من آية المائدة جاء ﴿غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ لمناسبة ما سبقه بمعنى: لا تجاوزوا الحدّ[2].

(1) انظر: **درة التنزيل**، ص86.

(2) انظر: **روح المعاني** للألوسي، ج5، ص24.